الاتصال الثقافي والتحولات المجتمعية في ظل العولمة..

حيدش سعد

باحث جامعي.

البريد الإلكتروني: hidech81@gmail.com

لقد صدق من قال أن المجتمع لا تشكله السياسة أو الاقتصاد,

بقدر ما يشكله نظام التواصل السائد بين الأفراد و الجماعات والمؤسسات.

د: نبيل علي

(الثقافة العربية وعصر المعلومات)

لم تكن الثقافة وأثرها بعيدا عن أثار العولمة المتعددة الاتجاهات كالبعد الاقتصادي و مظاهر الإعلام والاتصال والوقائع الاجتماعية الاستهلاكية الأخرى, ولتمكين أرضية خصبة للأبعاد المادية في الحياة الاجتماعية صاحب ذلك الاعتناء بالمعرفة والصناعة الثقافية ، لجعل إمكانيات هذه الموجة أكثر تأثيرا وتمكين لها طريقا معبدا و متواصلا, ولكي يتم للعولمة مرادها لتسلك سبل التفتيت لبعض الخصوصيات وفك الارتباط بين عناصرها وجعل بعضها معزولا وإقامة حدود بينها وبين الرجوع, أمكن فرض قيم حديثة أكثر إثارة وأكثر التصاقا بالمواد الاستهلاكية لكي لا يجد الفرد الخاضع لها تعارضا بين سلوكه نحو اتجاه الحياة وبين ثقافته التي اكتسبها إثر هذا الانفتاح وتصبح هذه العملية عبارة عن مسخ لتقاليده الأصلية ولشخصيته الحقيقية وأخطر ما تقوم به العولمة عن طريق أجهزتها الإعلامية والوسائط الاتصالية هي محاربة الأفكار وضرب الاعتقاد وتفكيك روابط التميز, أي تحطيم بنية الخصوصية وتفعيل سبل التعميم التي تنتجها رموز الرأسمالية الليبرالية, وهي تسعى حثيثا لاستثمار في رأس المال الثقافي قبل الاستحواذ على الهيكل وما حوى وخير مثال لذلك ما جرى للمستعمرات في العالم الثالث بمعنى الرجوع إلى مقولة هيجل والتي مفادها أن الفكر يؤسس الوجود الاجتماعي قبل أن يقلبها ماركس ويجعل منها مؤسسة اقتصادية للمجتمع والتي أكد فيها بأن الوجود الاجتماعي المادي هو الذي يحدد الوعي الاجتماعي.

- الكلمات المفتاحية:

الاتصال الثقافي / مجتمع المعلومات / المنظومة الرمزية الثقافية / السيادة الوطنية / العولمة

AbSTRACT

Were not culture and its impact away from the effect of globalization multidirectional Kalpad economic and manifestations of information, communication and social realities, other consumer, and to enable the fertile ground for the physical dimensions in the social life of the owner of that to take care of the knowledge and the cultural industry, to make the potential of

this wave more effective and to enable its way temple and continuous, and so is the globalization of their goal to walk ways fragmentation for some privacy and disengagement between the elements and make some isolated and establish boundaries between them and the back, it was possible to impose the values of a modern more exciting and more attached to material consumption in order not to find the individual subject has a conflict between his behavior towards the direction of life and the culture that he gained after this opening and this process becomes a monster to its traditions of indigenous and his true character, and the most dangerous thing you do globalization through their media and media communication is to fight ideas and hit the belief and the dismantling of links discrimination, any break down the structure of privacy and activate ways circular produced by the symbols of liberal capitalism, which actively seek to invest in capital Cultural before the acquisition of the structure and Hawa good example so what happened to the colonies in the Third World in the sense refer to the argument Hegel to the effect that thought based social existence before it turns them Marx and makes them economic institution of society and which he asserted that the presence of social material that determines social consciousness.

مقـدمة:

في هذه الخاصية أمكن تفسير العولمة الثقافية أنها تهدف في ذلك أن التبعية الفكرية عن طريق اختراق الذهنيات أكثر عمقا من التبعية الاقتصادية من خلال فوضى الاستهلاك, والغاية من هذا أن الإمساك بزمام العقل تنقاد وراءه العوالم الأخرى للأشياء, ولكي تسهل عملية الانقياد التي توجهه إلى نزعة استهلاكية للمواد الثقافية وتكيفها حسب العصر المتسم بالسرعة والاختصار والتخفيف في الكلفة والوقت, فإن النشاطات الترفيهية بدورها تعمق السذاجة المقصودة لتزييف العقل المرفقة ببرامج سطحية خفيفة والأقرب إلى التهريج منها إلى الصدق والحقيقة, وفي ذلك يقول عبد الإله بلقزيز (تبدو الثقافة على مستوى من الهزل والفقر والسطحية يثور معه التساؤل المشروع عن مستقبلها الإنساني وتشبه ثقافة العولمة سائر مواد الاستهلاك ، معلبات ثقافية تتضمن مواد مسلوقة جاهزة للاستهلاك في إخراج مثير يضعه تحت وطأة إغراء لا يقاوم)**(1)**.

وفي هذا الجانب تبدو أن التطورات الاجتماعية تحصل كلما تطورت بالمقابل الأدوات التكنولوجية والوسائط الاتصالية, ومن تأثير هذه الوسائل في التغييرات الاجتماعية تتطور أيضا المتطلبات التطلعية وتتوسع دائرة الاحتياجات, وهو الأمر الذي يغلب على طابعه المجتمع الاستهلاكي ونتيجة كل ذلك هي العوامل المؤدية لعدم وجود حدود جغرافية للاتصال ويحصل أن تجد الدول النامية مشكلات في رسم خريطة لهذا المجال بغية التحكم والسيطرة على دواعيه وتأثيراته النفسية والاجتماعية, وهذا يبقى من الصعوبة بمكان للتجفيف من منابع تدفق المعلومات التي تدخل محيطها, وبدورنا نتساءل هل التأثيرات نابعة من قوتها أي من آليات العولمة؟ أم من ضعف مناعة المتلقي الذي تبدو قيمه وتقاليده هشة وسطحية مما أدى بها إلى التأثر بسهولة وربما تعود إلى الطابع التربوي الضعيف الذي لم يحط بكل أنساقه الاجتماعية , وقد ينساق الفرد إلى ثقافة الآخر تحت تأثير وسائل الاتصال المتعددة نتيجة الفراغ وعدم إشباع احتياجاته من قبل البرامج الثقافية والإعلامية المحلية , وهو ما يعكس عدم

منافسة الإعلام المحلي الإعلام العالمي واحترافيته وهذا ما أدى إلى ميل أفراد المجتمعات النامية إلى استهلاك ثقافات الآخرين بوعي آو بغير وعي منهم , وتتجسد نظرية الاعتماد على وسائل الاتصال حسب الصياغة التي قدمها كل من (دي فلور وبول روكيتش), بأن غالبية الجمهور يميل إلى ما تفسره هذه الوسائل الإعلامية , وتكون هذه العلاقات شديدة الارتباط بالمحيط الجديد عندما يلاحظ أن الوسط المحلي للبيئة الاجتماعية يتسم بالاضطراب وقلة الفعالية وعدم النضج ولا يتماشى مع الظروف الراهنة التي تعبر عن سرعة التحولات وما يتطلبه المتلقي.**(2)**

من خلال هذا التصور الذي طرحته المقدمة تتضح الإشكالية التالية:

- ما أثر الاتصال الثقافي المعولم على البيئة الاجتماعية المحلية ؟

وتأتي في سياق هذا الطرح جملة من التساؤلات:

1 – ما أثر الاتصال الثقافي المعولم على المنظومة الرمزية الثقافية لمجتمعنا ؟

2 – ما أثر الاتصال الثقافي المعولم على السيادة الوطنية ؟

وفي التموقع المنهجي يعتبر اختيار المنهج نتيجة منطقية خاضعة لطبيعة الموضوع المطروح للدراسة وهذا الاختيار له بعد علمي للكشف عن الحقيقة لهذه الظاهرة الاجتماعية التي تخضع بدورها لعملية التحليل والتفسير بغية الوصول إلى أهداف مسطرة وفق التساؤلات المطروحة ، وعليه كان اختيارنا للمنهج الوصفي التحليلي الذي يتسم بخصائص تتناسب ومعطيات الظاهرة المراد دراستها ومن أهم هذه الخصائص أنها تحدد مفاهيم الظاهرة وتجمع معطيات وحقائق الدراسة وتتميز بإمكانية التحليل والتفسير ضمن مراحل الظاهرة المدروسة وتقوم هذه الخاصية بمقارنة الظاهرة بما يشابهها من موضوعات أخرى, كما لها القدرة على الجمع بين عناصر الدراسة والربط بين علاقاتها, فيما تضبط التموضوعات الراهنة المختلفة ومدى ارتباطها بالوضعيات المطابقة لهذه الظاهرة محل الدراسة .

أولا/ الهيمنة الثقافية والفضاء العمومي:

بفعل سيطرة وسائل الاتصال على الأفراد والمجتمعات وتكريس هيمنة الوسيلة على العقلية المحلية, مما أدى إلى زوال روح النقاش الحميمي الذي يحصل عادة من أفراد الأسرة الواحدة وتأثر الطابع الاجتماعي بنزعة أفراد المجتمع إلى الانعزالية واحتوائهم من قبل وسائل الاتصال المتعددة, وفي ذلك يشير الصادق الحمامي إلى علاقة الإعلام والاتصال بالمجتمع أنه في ظل الفضاء العمومي الذي تمارس فيه عمليات النقد والحوار في المسائل الاجتماعية السياسية التي تراهن عليها ظروف المجتمع، فإن النقاش الذي يحصل بين الدوائر الثقافية ، كما يحصل بين الأفراد والمجتمعات عبر آليات الهيمنة وقنوات محددة إيديولوجيا، يساهم في بلورة النسق الثقافي العام للمجتمعات، إذ يرى هبرماس في عصر التحولات أن إشهار الأفكار الذي يأخذ شكل المحاججة والمواجهة الفكرية والنقاش العقلاني قد فقد جوهره وتم استغلال هذه الأبعاد الفكرية من قبل المنظمات السياسية تمارس فيه الدعاية لأغراض سياسوية، ولم يعد كما كان ذلك النقاش الثقافي الهادف العقلاني ، وفي هذا أصبح الاتصال ثقافة معرفية عبر الشبكات الالكترونية المهيمنة

والمتحكمة في البرمجة والتوجهات والسيطرة من خلال الاتصال الاستراتيجي الذي يحدد نمط الإنتاج وعمليات الاستهلاك(3), بالمقابل يأخذ أيضا الاتصال الثقافي أبعاد المنظومة الرموزية التي تتوقف عليها البناءات المجتمعية, وفي هذا يعرف الأستاذ الهيتي الاتصال الثقافي بأنه(النسيج الثقافي المتمثل في الآراء والأفكار والمهارات والخبرات والأحاسيس والاتجاهات والقيم وطرق الأداء المختلفة ينتقل من شخص إلى شخص ومن جماعة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر ومن جيل إلى جيل عبر عمليات الاتصال)(4)، مضيفا في إطار هذا الاحتكاك ومجموعة القيم والتقاليد والنظم، أن الاتصال المحدد على أسس عملية يعبر عن الفن المبني على تحويل المعاني من شخص إلى شخص أو من طرف إلى طرف آخر وباعتبار أن الخاصية الاتصالية متعلقة بالإنسان فإنها تشكل عملية مركبة عمليا ليست بهذا المنحى البسيط، إذ تتوقف على عمليات التفاعل الاجتماعي الذي يعتمد بدوره على الاتصال وما ينطوي عليه من تبادل في الخبرات والآراء والأفكار، فالتفاعل لا يتم بخصائصه كاملا, إلا إذا كان هناك اتصال فعال قائم على عملية التأثير والتأثر.

وفي هذا المنحى يتحدد الاتصال في أنواع ثلاثة أثر في ثلاثة مستويات مثل الاتصال الشفهي- الاتصال الجمعي – الاتصال الجماهيري، كل عنصر مميز عن الآخر بخصائصه وقد يشتركون في البعض منها، وتكمن الرؤية في فهم طبيعة الاتصال في العناصر المركبة للعملية الاتصالية كما حددها أهل الاختصاص المتمثلة في المصدر- الرسالة- الوسيلة- الجمهور-التغذية الراجعة- التأثير, أو كما جاءت في نموذج لاسويل بصيغة أخرى على هذا الشكل من يقول؟ يقول ماذا؟ بأي وسيلة؟ لمن يقول؟ بأي أثر؟

وعلى الرغم من هذا التفصيل لهذه العملية، فإن الاتصال هو عملية معقدة اجتماعيا ونفسيا زيادة على ارتباطه بالمسألة العقلية المعرفية وتحولها كصلة بين طرفين تتداخل كل هذه العناصر في نسق واحد.

وفي سياق متواصل يذكر الأستاذ علي وطفة أن الاتصال يضع الثقافة العربية في بعض البلدان العربية في خطر نظرا لهاجس العمالة الأجنبية وتأثيرها على المحيط النفسي والاجتماعي للمجتمع العربي، إذ الوافد لهذه الدول يحمل جملة من الأنماط القيمية وبعض التصورات والمفاهيم ومختلف المعايير الثقافية والأخلاقية المختلفة عن الثقافة المحلية من خلال المؤسسات التعليمية الأجنبية والوسائل الضرورية القائمة على التحديث والتفتح مثل المطاعم الأجنبية ودور السينما والمراكز الاجتماعية والثقافية الأخرى وتأثيرها على المحيط المحلي للمجتمع الأصلي, كما هو مخصص للتنشئة الاجتماعية ورعاية الأطفال من قبل المربيات الأجنبيات اللواتي بلغن عددهن في دولة الكويت وحدها نصف مليون وما يشكل هذا طبعا ما يحملهن من ثقافة وقيم مخالفة يتم غرسها لاشعوريا في نفسية الطفل العربي ويصبح مسخا وسلخا لتقاليد هذه المجتمعات وتدميرا للهوية الأصلية للمجتمع المحلي نتيجة تعرضه للاحتكاك الدائم, وإن كان نسبيا في بعض الأحيان مع هذه العمالة الأجنبية إلا أن التأثير الثقافي واقعا ملموسا تمارس من خلاله مختلف المعايير الأخلاقية والجمالية والاجتماعية والاقتصادية تشكل في الأخير ملامح ثقافية مغايرة(5), وينعكس في هذا الإطار النظام التربوي الذي يؤسس حالة قيمية وإيديولوجية تمارس أيضا فعل التنميط الثقافي, كما يشكل بعدا رمزيا خفيا يؤثر على المدى البعيد في بنية المعايير الاجتماعية والثقافية, وفي هذا الطرحيبرر غرامشي الهيمنة الثقافية بواسطة

استخدام المنهج التربوي كمدخل لاختراق الآخر ثقافيا والاعتماد على هذا البعد التربوي في تحقيق جانب الهيمنة وممارسة العنف الرمزي على الآخر المختلف، كما عبر ميشال فوكو أيضا في هذا البعد بمفهومه طقوس الحقيقة التي تفرض باسم الحداثة والدعوة إلى الاهتداء بها والتي تمثل الملكية الخالصة للغرب وحده(6).

ومن ذلك نعتبر أن الاتصال الثقافي يعبر كذلك عن البعد الفعال في حركية المعنى ونشاطه والداعم المادي الحقيقي للثقافة خصوصا في احتكاكها وتأثرها مع بقية نظيراتها الثقافية الأخرى، إذ يحصل بذلك تثاقف بينهما وحالة من التأثير والتأثر نتيجة هذا التفاعل المتبادل ، وهو الأسلوب الذي ينمي طاقات حية تعطي حرصا واهتماما متلازمين بموضوعات متعاصرة ، وما يندرج عنها من إشكالات حديثة ، إذ إن الاتصال يفعل الآليات الثقافية ، ويمكنها من النزوع نحو المشاركة، والتفاعل والبحث عن الجديد في بوتقة الحياة والتفتح على الآخر المغاير، ويزيح بدوره الاغتراب والعزلة والهامشية .

وعلى هذا تتردد ثقافتنا العربية إزاء أي انفتاح وكلما زادت تكنولوجيا الاتصال وتعددت التقنيات الحديثة ظهورا وانتشارا أوغل باحثون في التراث لعلهم يجدون إجابة كافية تبرر واقعنا المأزوم الذي جرنا إلى الانغلاق أكثر مما حفزنا على التطلع وكسب الرهان ، وفي ذلك يحدد زكي نجيب محمود المقياس الحقيقي للحكم على هذه الاختلالات المعرفية بالمعيار المستقبلي , وليست الحالة الرجعية , بل ما سوف أن يكون بحيث لو طرح سؤالا حول قضية معينة مثل ظاهرة السلوكات الجديدة للأفراد أو عملية ضبط قانون وفق التشريعات الحديثة أو ظهور مستجدات حضارية وثقافية تهم المجتمعات المعاصرة, فإن القياس لا يمكن أن نستحضر فيه المعايير التقليدية وسلوكات الماضي للأفراد من الآباء والأجداد , بل الجواب الصحيح هو العبرة بالنتائج لهذه السلوكات والقضايا المطروحة في حاضرنا , فإن كانت النتائج تعبر حقيقة بصورة إيجابية عن موقف أفضل فمن حقنا التمسك بها ودعمها معياريا لأنها تعطي المزيد من الحرية والمعرفة والوعي الاجتماعي(7), وفي هذا هل التأخر الذي نلحظه اليوم نتيجة عدم الفاعلية كما يصفها مالك بن نبي أم هي صفة مجانبة لحياة المجتمعات العربية كما يعبر عنها المفكر محمد أركون بسيكولوجية الإخفاق نتيجة التعرض للصدمات الحداثية والانبهار بروافد الآخر.

ومن ذلك كان الانفتاح عن ثقافة الضفة الأخرى حتميا وشرطا أساسيا حتى لا نبقى على الهامش نتتبع تخطيطات المركز، ودونما انغماس كل العمق حتى لا نخسر قيمنا وتقاليدنا الثقافية, واعتبارا من هذا فإن الحل يكمن في الوعي بالكيفيات وإدراك السبل والاتجاهات وتحديد الخطوات وحساب المواطن والوضعيات.

وفي مسار تفاعل الثقافة في المجتمع، أمكن لها أن تواكب المتغيرات، وأن ترسم حدود مقتضياتها المستقبلية، فبفعل الاتصال القائم بين الأفراد والجماعات أدى ذلك إلى تنامي الحركة الثقافية وتناقلها بين الأجيال وبين المدن، ذلك أن المجتمع البشري هو صيرورة ووجود الاتصال مهما كانت مكانة هذا المجتمع متقدما كان أو متخلفا، لكون هذا الاتصال في حقيقته هو جوهر التفاعلات المجتمعية وتطورها سواء كان في حالة استقرار أو في حالة صراع(8).

ومن وجهة أحد الباحثين أن الثقافة تتطور برعاية اللغة وتنميتها في الوسط الاجتماعي المحلي, إذ أن للثقافة ارتباطا باللغة إذ تعكس هذه الأخيرة طبيعتها بالانتماء والتأثير والتفاعل الاجتماعي والتحولات نتيجة التبادل والاتصال

الحاصل بين الأفراد والمجتمعات، وهو ما يشكل وعيا إنسانيا وحضاريا, وبصورة ما فإن النهوض باللغة العربية هو عامل كبير في تطوير الثقافة ، فلذلك يذكر الدكتور طه حسين أنه أكد مرة بقوله:(أن اللغة العربية لن تتطور ما لم يتطور أصحابها أنفسهم، ولن تكون لغة حية إلا إذا حرص أصحابها على الحياة ولن تكون قادرة على الوفاء بحاجات العصر إلا إذا ارتفع أصحابها إلى مستوى العصر ثقافة وسلوكا وإسهاما وأخذا وعطاء)**(9)**, وباعتبار أن الثقافة هي نسيج من الأفكار والمعايير والقوانين والأعراف والتقاليد الاجتماعية التي تعطي الوجه الحقيقي للمجتمع وتعكس آفاقه وطموحاته, فإنه كلما كانت منظومة القيم أكثر حضورا ورسوخا ورقيا كلما تألق مجتمعها وتطورت سبل حياته ونمت أطواره, وهو الشيء نفسه الذي أشار إليه د. عابد الجابري بأن الثقافة يمكنها إن ارتفعت أن ترتفع بالوطن العربي من مجرد رقعة جغرافية إلى وعاء للأمة العربية**(10)** وبإزاء هذه الحركة الثقافية فإننا نجد غياب الميكانيزمات, وهذا ليس دليل ضعف الثقافة العربية وإنما هي في حاجة إلى ثورة على غرار ما تشهد الساحة العربية من حراك اجتماعي وتحولات في المنطقة بما يسمى الربيع العربي ينعكس أطره على جميع المستويات والمجالات وهي فرصة لتكريس الهم الثقافي داخليا بدلا من استيراد النموذج الرأسمالي الثقافي الذي أضحى بديلا بعد سقوط جدار برلين سنة 1989 واعتبارا أن لكل مجتمع ثقافته ينطلق منها في تحديد أفقه وسياقاته الفكرية ومنطلقاته الراهنة والمستقبلية، تدافع هذه الثقافة بدورها عن توجهاتها، كما ركز بذلك غرامشي في تناوله لزاوية المثقف العضوي المتمسك بالروح المرجعية والهوية المجتمعية, وعندما أكد على الجوانب الثقافية وأهميتها في صناعة المجتمع وتنميطه وكذا دورها في تشكيله وربط الوعي الثقافي للطبقة في بناء المشروع الاجتماعي من خلال دور المثقفين العضويين الثوريين الذين يهيمنون بفعل ثقافة ثورية على قوى الإنتاج والنظام السياسي، وبذلك يكون للثقافة في المفهوم الماركسي دور في الوعي الفردي والاجتماعي حسب ما يعتبره غرامشي الذي يكون بذلك مناقضا للحتمية الاقتصادية إزاء تشكيل البناءات المجتمعية **(11)**, ومن ذلكتلعب الثقافة في تشكيل آليات حركة المجتمع وتفاعله المتواصل, وبعبارة أخرى فإن الثقافة هي المظهر الخارجي لهذا الحيز الاجتماعي وتنبئ على خباياه الفكرية وخلفيته الفلسفية , ومن جهته يوضح د.حسن عبد الحميد رشوان ذلك أن الاتصال يمكن من إحداث تفاعل بين الطرفين ، وفي ذلك أنه لا يمكن اعتبار الحياة الاجتماعية بلا أشكال تفاعلية سواء كان هذا التفاعل مباشرا كحركة الفرد أو تفاعلا رمزيا مثلما يحدث من الإشارات أو الإيحاءات والأصوات وغيرها من الأشكال إذ يرى أن التفاعل هو الاتصال بين طرفين مؤثر ومتأثر، وبصيغة متبادلة كذلك ، وفي ذات السياق يعرب بأن الفعل الثقافي في أي مجتمع ما هو إلا مظهر لحياة مجموع الأفراد تظهر في جملة السلوكات والأفكار والتقاليد وتندمج هذه الثقافة مع الأفراد مشكلة أنماط حياة تتداول بين جيل وجيل، وخلص في الأخير أن الثقافة والمجتمع وجهان لعملة واحدة، فلا نتصور مجتمع بدون ثقافة ولا ثقافة بدون مجتمع **(12)**.

ولحل عقدتنا . نحن كمجتمع عربي . التي عودتنا على التواكل أو التي عودتنا عليها أنظمتنا العربية في سياسة الاستهلاك، بدلا من ثقافة الإنتاج وهذا هو الفرق بيننا وبين الغرب ، وهي برمجة مقصودة بأن نكون مستهلكين لإنتاجهم ومستوردين لنمطيتهم وتنميتهم ، وهو الأمر الذي عمق التبعية والارتباط والاتكال على الغير، بحيث يصبح اتصالنا اتصالا قهريا بغية سد حاجاتنا وإشباع رغباتنا الاستهلاكية ، وهو الشيء الذي أدى إلى تفسير هذا المنظور من قبل د. عابد الجابري بأن ثقافتنا لم تستوعب بعد استيعابا فاعلا أسس الحضارة المعاصرة، أسسها العلمية

والتقنية، لا على مستوى الفكر...وعلى مستوى العمل...ولا نزال نعيش صدمة الحداثة على مستوى الفعل وردة الفعل اللذين يحركهما التنافر والتناقض، وليس التفاعل والتكامل**(13)**.

ثانيا/ انفراد الإنسان وحده بالثقافة:

من ترسيم مواد تشريعية إلى معلبات استهلاكية كلها تعكس غاية محددة في المنظومة الاجتماعية تهدف إلى التركيز على البنى الثقافية , إذ أن تأثير الثقافة يبقى مستمرا باستمرار الإنسان ووجوده لأن الميزة الكبرى في العنصر البشري أنه كائن ثقافي يحمل منظومة الرموز الثقافية معه ، وهو ما يميزه عن الكائنات الأخرى ، وهو السؤال الجوهري الذي طرحه العالم الاجتماعي محمود الذوادي مفاده هل الإنسان كائن ثقافي بالطبع؟ خلافا لما حلله الفلاسفة والمفكرون أن الإنسان كائن اجتماعي بالطبع وترتكز دلالة الذوادي على ارتباطات هذا الكائن الإنساني بالخاصيتين العلميتين الطبيعية والاجتماعية، أي أن استهداف الإنسان هو تحطيم فكره وتوجيه سلوكه, ويلخص فكرته في خمس نقاط التي تؤكد على أن الإنسان كائن ثقافي قبل أن يكون كائنا اجتماعيا**(14)**:

1- نظرا لطول عمر الإنسان مقارنة مع بقية الكائنات الأخرى
2- كون نمو جسم الإنسان بطيئا خلافا للكائنات الأخرى.
3- باعتبار الإنسان مزدوج الطبيعة (مادي - روحي)
4- الرموز الثقافية من اختصاص الإنسان وحده.
5- خاصية سيادة الإنسان في العالم

ويتبين من خلال نظرية الذوادي أن ما يخلد وراء الإنسان بعد فنائه ماديا هي المنظومة الرموزية الثقافية أي الفكر، وهو ما تميزه هذه المنظومة عن بقية الكائنات الأخرى التي تنتهي بانتهائها.

ويركز من منظور هذه الرموز الثقافية على عنصرين هامين هما اللغة والدين، فاللغة تبقى أهم الرموز الثقافية الأخرى المختلفة من فكر وعلم ومعرفة وقوانين وأسطورة ومعايير ثقافية وغيرها من الرموز الأخرى، وهي تمثل الحجر الأساسي لهذه المنظومة والدين هو المؤسسة التي تضبط الاتجاهات وطبيعة الأنماط الثقافية والدليل كذلك على مركزية هذين العنصرين في الإنسان هو هجوم الاستعمار عليهما في كل المستعمرات وخاصة في مستعمر الوطن العربي من مسخ للقيم الدينية وطمس معالم اللغة باعتبارهما محور الحديث في تشكيل الهوية الثقافية للإنسان والمجتمع.

ثالثا/ الاتصال – الثقافة – اللغة:

يعد تقدم اللغة دافعا حقيقيا يرفع من قيمة الثقافة التي تساهم في الوعي الاجتماعي وتحافظ على خصوصية التراث المعرفي والمادي للمجتمع وتؤكد على حضوره الدائم , وفي هذا يعتبر العالم ليفي شتراوس من بين أبرز المهتمين بالبحث حول علاقة اللغة بالثقافة ، وهو من المساهمين الكبار في بناء البنيوية اللغوية خصوصا ما تجلى في مؤلفه الانثروبولوجية البنيوية، وقد رأى من منظوره أن اللغة كمنتج للثقافة ، كما اعتبرها خاصية وجزئية من الثقافة في الوقت نفسه ، إضافة إلى ذلك فقد اعتبر اللغة شرطا أساسيا لوجود كيان ثقافي ، وبالتالي فلا ثقافة بدون جوهر لغوي ، إذ بفضل هذه الأخيرة تكتسب الثقافة. وفي هذا الاتجاه اعتبر أيضا (أدوارد سابير) أن اللغة قاعدة صلبة لموضوع الانثروبولوجيا، وهي سمة بارزة وعضوية للثقافة**(15)**، وباعتبار أن اللغة تتعايش ضمن التفاعلات

الاجتماعية التي تحدث بين الأفراد كما تفرض نفسها على الضمير الجمعي، وهي بذلك تمارس هيمنة على المجتمع وتجلياته الفعلية، والأمر ذاته أن الإنسان يحتاج إلى اللغة لتحقيق بعض الأهداف الوظائفية منها أن اللغة تقوم بالوظيفة الاتصالية أي تكوين محتويات لغوية دالة تنتقل بين طرفين ، نظرا لأن اللغة باستطاعتها أن تجسد الثقافة والفكر في أقنية اتصالية ، وبذلك تعبر اللغة عن البيئة الاجتماعية , والمجتمع في حقيقته يشكل الوجود الاتصالي ، ومن زاوية الوظيفة الاتصالية للغة تنتج الفكر وتحدد مفهومه وهدفه وهي مؤثر فيه يحدث تكامل بينهما ، حيث أن مسألة النهضة الثقافية تتشكل من أبجديات اللغة ، وهي كذلك نموذج إنساني وحضاري تعكس المجهود الفكري والاجتماعي**(16)**, إذ أن عدم الاعتناء باللغة يهمش الثقافة ومنه الوقوف على أطراف الحضارة مهما كان نوع تواصلنا بالطرف الآخر.

وإذا سلمنا جدلا أن الاتصال ظاهرة لتبادل الآراء والمعلومات والمهارات بين طرفين ، فإن اللغة هي الجزء الأوسع من هذه التبادلات المتكونة من الأفكار والآراء المتجسدة في المضمون الاجتماعي، حيث يمكن أن تفسر ذلك بأن الدراسة الاجتماعية أو الفعل الاجتماعي هو قاعدة لمفهوم علم الاجتماع على حد تعبير فيبر، فإننا لا يمكن أن نحلل هذا الفعل، إلا إذا درسنا عمليات التفاعل الاجتماعي داخل الحيز الاجتماعي المختلف ، وإذا كان لابد من ذلك ينبغي تفكيك هذا التفاعل للاهتمام بتفسير مفهوم الاتصال ومضامينه ضمن الإطار الاجتماعي , ولفهم الاتصال لابد من تحليل العلامات والرموز التي تستخدم في هذا المجال ، وبدورها فإننا لا يمكن فهموتحديد هذه الرموز أيضا وتفكيكها إلا بإدراك ماهية الثقافة الاجتماعية، لأن هذه الأخيرة تتضمن اللغة السردية والتي بدورها تحمل معان وسمات لا يمكن فهم علاقات التواصل إلا بفهم حقيقة هذه الرموز والمعاني اللغوية لهذا المجتمع**(17)** واعتبارا من ذلك فان مفهوم الاتصال أوسع من مضامين اللغة, لأن اللغة ما هي إلا وسيلة من وسائل الاتصال أو هي الجزء الأكبر من هذه العملية الاتصالية **(18)** ، وما يمكن استخلاصه في التحليل لظاهرة المادة الإعلامية المتعددة على شكل خطاب أو مقال أو نص أدبي أو رسالة أو محتوى إشهاري، أو بث إذاعي أو برنامج تلفزيوني. فإنها كلها محاور تندرج تحت فهم محتوى العملية الاتصالية ، أما بخصوص التحليل الرمزي للغة فهو يتطلب من المحلل الكشف عن الصور البلاغية والقيمة الفنية والإحاطة بفنون التأويل والبعد السيميولوجي وصوره , وكذا الطبيعة الثقافية لمضمون الرسالة الإعلامية ، حيث تتمثل هذه الأشكال في الإشارات والحركات ، والصمت المطبق أو من خلال أيضا الموسيقى والتعابير الإيحائية ، وكذا ملامح الوجه والهمهمات الصوتية وتعدد الألوان ، كما تبرز كذلك في الفنون التشكيلية للوحات وغيرها من الأشكال التعبيرية المختلفة في طابع مسرحي مثلا أو شريط فيلم المتنوع النماذج ... وتعبر كل هذه الإحاطة عن كيفيات مختلفة لمنح فرصة للمحلل لتعدد قراءته لهذه اللغة التي توصف باللغة الموازية paralangage والتي تتطلب من المفسر الإلمام بالجوانب الرمزية وحقول الثقافة الاجتماعية ، لتحليل الظواهر والمواقف التي تنشأ من خلال هذه الصور المتعددة للغة غير المباشرة التي ترتسم أحيانا في قصة أدبية أو في عرض مسرحي أو في كتابات رواية وخلفياتها الرمزية أو من خلال مشاهد فيلم يصور قسمات البنية الاجتماعية لمجتمع معين له تقاليده وثقافته المميزة

.

ويظهر من خلال ذلك أن الاتصال عبر وسيلة اللغة المتباينة من حيث كونها لغة مكتوبة أو لغة شفهية أو في إطار اللغة الموازية التي تنوعت ميادينها كما سبق ذكرها **(19)** تشكل كلها بعدا هاجسيا ضمن الرسالة الاتصالية من ناحية , ومن جهة ثانية فإنه من خلال اللغة أيضا تستطيع أن تمارس وسائل الإعلام والاتصال تأثيرا بليغا على الأفراد والمجتمع في مثل طبيعة الآثار المعرفية والعاطفية والسلوكية باعتبار أن اللغة تحملدلالات ظاهرة وأخرى مستترة ، وأشكالا مختلفة من طقوس ورموز , فضلا عن اتساع دائرتها لتشمل القيم الثقافية ، خصوصا ما يكشفه كتاب (الأنتروبولوجيا البنيوية) للفرنسي كلود ليفي شتراوس ، حيث توصف اللغة بمثابة وسيلة اتصالية بلا منازع ، إلا أن هناك من أبعدها بأن تكون الوسيلة الأفضل والوحيدة للاتصال بحجة أنها تحوي على الكثير من الغموض والتقطعات على حد وصف كل من إدوارد هال وبرغسون بصفة خاصة. وهذا ما يجعلها وسيلة فقط من وسائل الاتصال...وعلى العموم جاء هذا التحليل نتيجة لسؤال قد طرح مفاده هل اللغة هي وسيلة اتصال بامتياز؟ وهل إذا انعدمت اللغة ينعدم الاتصال تبعا لذلك أم ماذا يحدث؟ و في هذا الشأن قد تعددت سياقات الإجابة. لكن الصريح من القول أن اللغة هي وسيلة من جملة الوسائل الأخرى للاتصال وفي هذا الإطار انعكست تجربة أخرى بأسلوب مباشر على اللغة ونظامها التي عبرت عن فحوى الاتصال غير اللفظي عند كل من فردينان دي سوسير ورولان بارث في تعدد النماذج وتشعبها حول مفهوم السيميولوجيا **(20)** الذي يهتم بالعلم ويدرس الدلائل في مضمونها الاجتماعي. ومنه فإن هذا المفهوم قد أوضح صور الاتصال المتعددة في بعدها اللغوي.

رابعا/ العولمة الثقافية أو الركض نحو احتواء الأخر:

ينمو العالم عن وعي عميق بما تجلبه العولمة وإنتاجها، فالتفاعل الاجتماعي الحاصل اليوم أدى إلى تعقيد الحياة وظهرت في سبيل ذلك التحولات والتغيرات السريعة نتيجة الصناعة الالكترونية وتزايد إنتاج تكنولوجيا الاتصال أثرت على الأساليب التقليدية ، وزاد الاهتمام بالثقافة والمعرفة واستغلالها كمورد من الموارد الحديثة ، والاعتماد على المعلومة كمصدر حديث لتنمية الطاقات الاجتماعية بعد الثورة الزراعية والصناعية ، لكن هناك انعكاسات على الطبيعة الإنسانية إذ يثير باحثو ما بعد الحداثة مضاعفات أضرار الصناعة على الإنسان بما يسميه أولريش بيك بمجتمع المخاطرة , وهو ما يؤكده جيهان سليم بأن الثقافة هي من إنتاج هذه التفاعلات الاجتماعية ، التي تتواصل عبر الحقب الزمنية مشكلة بذلك الاتصال الثقافي المتغير والمتجدد في الآن نفسه ، وأن صناعة المعرفة أصبحت هي القوة كما يشير بذلك فوكو، أو كذلك هي المصلحة التي تقود إلى التبادل التنموي حسب تعبير هبرماس ، وفي تحديد مفهوم الثقافة ضمن السياق التاريخي، والممارسة النقدية التي طرحها د. عابد الجابري الذي اعتبر الثقافة مركبا متجانسا من مجموعة من الذكريات والتصورات والقيم والعادات والتقاليد , التي تحتفظ بها مجموعة من البشر والتي تشكل أمة أو شعبا بطريقة تعبر عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت وقدرات البشر(**21**), وفي ذلك شكلت الثقافة فلسفة الإنسان وفلسفة المجتمع عند مالك بن نبي وهو في هذا يربط بين المفهوم الغربي للثقافة الرأسمالية وبين المفهوم الاشتراكي ، كما يحددها أيضا أنها تصبح بهذا التقدير نظرية في السلوك أكثر منها من أن تكون نظرية في المعرفة ، فالثقافة في مفهومه هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد

منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته(22).

هذه النظرة لها أهمية في الربط بين مفهوم الثقافة ومفهوم الحضارة إذ يشير إلى البيئة الاجتماعية التي تصاغ فيها الشخصية وإلى المحيط الذي يتعايش فيه الفرد الحضاري ، وهو ما أمكن له الجمع بين الفلسفتين الإنسانية والاجتماعية ، أي كما يسميها معطيات الإنسان ومعطيات المجتمع ضمن قيم ومعتقدات واحدة ، وهي الفكرة الدينية المتضمنة في منظومة الرموز الثقافية والتي تبقى كشرط أساسي لبناء مشروع حضاري ,وعلى الرغم من توظيفه لبعض الأبعاد الاتصالية إلا أنه لم يفصح عنها صراحة فالتصور الذي طرحه في كيفية التفاهم بين الطرفين يرجع إلى علاقة انتمائهما إلى ثقافة واحدة وتقاليد مجتمع واحد، حتى وإن اختلافا في الظروف الاقتصادية والاجتماعية ومنطلق الوظيفة ، كما هو المثال الذي وظفه عند الطبيب الانجليزي والراعي الانجليزي ، واتفاقهما على مرجعية واحدة هذا التفاهم والتواصل بين الطرفين طرقه الباحث (ولبور شرام) في مفهوم الخبرة المشتركة أو بما يسمى بالإطار الدلالي الذي يربط بين جهتين أو شخصين لهما نفس المخزون المعرفي، حيث يؤدي بهما في الأخير إلى التوافق والتفاهم وتحقيق الهدف للرسالة نتيجة لذلك الإطار المعرفي المشترك ، وهو الأمر نفسه استخدمه مالك بن نبي بصيغة مغايرة ضمن سياقات النص البنابي(23).

خامسا/ الصناعة الثقافية والمجتمع الاستهلاكي:

تتمحور التكنولوجيا الحديثة على أساس تحول صناعة الثقافة إلى طابع اقتصادي تساهم في دعم الدخل الوطني وتنميته ومن بين مميزات الصناعة الثقافية أنها أصبحت تصدر على أشكال سلع ومنتجات ساعدت على التطور الاقتصادي ، وقد تكلم في هذا الباب أصحاب مدرسة فرانكفورت مبكرا عن ما يسمى الصناعة الثقافية ، وكيفية تحويل المعرفة إلى تجارة رائجة تساهم في الاقتصاد الوطني ، كما كتب في هذا المجال (ولبور شرام) في فترة الستينات دراسة (الإعلام والتنمية الوطنية) وبين الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام والاتصال في تحريك دواليب التنمية الاقتصادية للدول ويضيف كل من (أرمان ماتلار وجون ماري بيام) <<أنه قد تم الاعتراف بأن وسائل الإعلام صناعة واكتساب هذا التعريف مشروعية واضحة، أصبح إنتاج هوركايمر وأدرنو مقررا حقيقة>>(24).

وعبر حلقات التاريخ تحققت رؤية كل من هذين العالمين المنتميين إلى المدرسة النقدية وبصحة طرحهما في مسألة الصناعات الثقافية التي يترجمهما الواقع من خلال لوبيات الإعلام والاتصال والمساحة التي تحتلها هذه الإمبراطوريات بما يتعلق بالإعلام والثقافة وميادين البرامج الإشهارية وعمليات التسويق والتوزيع وبث محتويات الترفيه والنشاطات الثقافية ، وفي هذا تعبر المدرسة النقدية عن نموذج ماركسي وإن كان بخلاف الحتمية الاقتصادية التي أعطت الاعتبار للآثار الفكرية والثقافية الجماهيرية ، وكيفية بروز المجتمعات الاستهلاكية ، إذ نجد أن رائدا المدرسة قاما بتحليل مختبر الصناعات الثقافية وانعكاسها على الإنتاج الاجتماعي الرأسمالي واستقراره وفي تحقيق التحولات السياسية وتحررها ، مركزين على الأبعاد التكنولوجية الثقافية وآثارها الاجتماعية مما يتحتم ظهور آليات حديثة تعمل على الضغط والهيمنة لتنميط السلوك والقيم الاجتماعية(25) .

وفي المسار ذاته يحدد (ألفين توفلر) المرحلة الثالثة أو الموجة الثالثة كما يسميها البعض والتي تنبأ بها كمطلب عصري والتي تعني مجتمع المعرفة أو بما يسمى بمجتمع المعلومات فهذه المرحلة اختزلت المسافات وقلصت من الحجم الزمني وساهمت في التقليل من التكلفة وأشكال الأعباء الاقتصادية الأخرى، وأصبح التحكم فضائيا متجاوزا بذلك الحدود الجغرافية ، ومخترقا الأعراف والقوانين السيادية والحواجز الفكرية والعقائدية**(26)**, وما أثبته الراهن في تنقل هذه الثقافات على شكل سلع ينتقل معها الفكر والإيديولوجيا وصور الهيمنة وكذا الإنتاج العقائدي الاجتماعي لذلك البلد وبذلك يحدث نوع من التأثير النفسي والاجتماعي والثقافي أي أن الصناعات الثقافية تحمل معها الخصوصيات الفكرية وهو الأمر ذاته ما أكد عليه د. حسن حنفي بقوله أن المعركة بين الخصوصية والعولمة ليست بريئة حسنة النية أكاديمية علمية بل تمس حياة الأوطان ومصير الشعوب **(27)**.

وهذه الأفعال التي تعكس الجوانب الثقافية في ظاهرها استخدمت في عهد الاستعمار والتي اعتمدت على كتابات المستشرقين وبعثات المبشرين والرحلات الاستكشافية، وهي آلية ثقافية اعتمد عليها المستعمر لفهم الآخر واختراق منظومته الرمزية الثقافية يعمل من خلال ذلك على تزييف الوعي بقيم أكثر حداثة وأكثر تطلعا, وبالرغم من أن المجتمعات العربية تسعى إلى التطلع نحو المشاركة العالمية والسباق نحو اختياراتها نجد بالمقابل اتجاها ثانيا من نفس العقيدة والثقافة يتجه نحو التشديد على الخصوصية الثقافية وتسييج حدود الهوية ، ويفسر سمير أمين هذا الصراع بتصور آخر حيث يرصد في هذه الجزئية أن مصدر التباين الحاصل بين المجتمعات والدول ليس مصدره اختلاف الثقافات وتنوعها فحسب, بل يعود كذلك إلى اختلاف المواقع التي تتبوؤها الدول على رأس سلم المنظومة الرأسمالية الليبرالية**(28)**, ومن خلال هذا الاختلاف يحدث نوع من التصادم للقيم التي تنشرها العولمة فتتولد حرب دائمة تحاول الهيمنة بتلك القيم على اعتبار أنها قيم عالمية مقدسة ، ويشير عبد الإله بلقزيز أن العولمة الثقافية ما هي إلا التعبير المكشوف عن السيطرة الثقافية الغربية التي توظف مكتسبات الثورة المعلوماتية لهذا الغرض، ومنه طرحت العولمة نفسها كإيديولوجيا تعبر عن النسق القيمي للغرب على حساب النسق القيمي للحضارات الأخرى حسب ما جاء في سياق سمير أمين **(29)**.

وفي هذا ما إذا كتب لثقافة ما السيطرة على العالم بوسائلها يصبح مسارها مركزيا وباقي المسارات الأخرى للثقافات الثانوية , يضيف د. حسن حنفي أن تعدد المسارات يعود إلى تعدد الثقافات عبر الحقب الزمنية وتعاقب التاريخ ، والعولمة في رأيه هي أحد أشكال الهيمنة الغربية الحديثة التي تعبر بشكل أو بآخر عن المركزية الأوروبية من عهد الحملات وأيام الاستعمار إلى ثورة الاتصالات**(30)**، أو بتعبير سمير أمين هو تجميد ثقافة الأطراف لصالح ثقافة المركز الرأسمالي , ومن منظور الدفاع عن الثقافة المحلية ضد التهديدات المستمرة من قبل خطر العولمة يذكر حنفي أنه لا يتأتى الدفاع عن الهوية الثقافية ضد مخاطر العولمة عن طريق الانغلاق على الذات ورفض الغير فهذا تصحيح خطأ بخطأ...إنما يتأتى ذلك بإعادة بناء الموروث القديم الكون الرئيسي للثقافة الوطنية بحيث تزال معوقاته وتستنفر عوامل تقدمه**(31)**, وفي غياب الوعي العربي والنهضة التنويرية التي لها دلالة شرعية علمية وليس مجرد حراك شعبي الذي يعبر عن البدائل السياسية أحيانا وليس التغيير الجذري للفكر وفلسفة المنظومة الاجتماعية وبالتالي فقدان التأسيس يتبعه الضبابية في المنهج والرؤية , وفي هذا الاتجاه يحلل د.عبد الله الجسمي أبعاد ثقافة الاستهلاك بأنها

طغت على ساحة العقدين الأخيرين وأضحت سمة غالبة في عصر العولمة , والحالة التي أدت إلى توسعها هي نتيجة تقهقر الفكر التنويري وطمس معالمه خاصة بعد ظهور الأحادية القطبية وتشتت الكتلة الاشتراكية وبروز المحور الرأسمالي كبديل وحيد على الساحة الاقتصادية العالمية , وقد شكلت هذه الثقافة ثقافات فرعية عززت محيط تواجدها أمام تحلل الفكر وضروبه المختلفة , منها ثقافة غريزة التملك وثقافة الجنس وثقافة التسويق , ونوعت هذه الثقافات في السلوكات والممارسات مما أدت هذه الموجة إلى تراجع وتقلص من دور القيم الاجتماعية وزادت من حدة القيم الانتهازية وتغليب المصالح الخاصة والمطامح الشخصية رغبة في تحقيق المنفعة الفردية المادية بشتى السبل والوسائل المتاحة, ومن ذلك تشرب الإنسان قيم وثقافة جديدة متناسبة مع التحصيلات الواقعية لم يستطع التخلص منها**(32)**, و في ذات المنحى نجد أن ظاهرة التشيؤ التي برزت كمفهوم من قبل جورج لوكاتش في سياق الاغتراب والاستلاب ضمن الأبعاد الماركسية , قد صيرت ملكية الأشياء مضمونا بديلا, في حين أطلقت العنان للممارسات بدون قيد ولا شرط للتحصيل على حساب القيم والمبادئ الإنسانية , مما أدى ذلك إلى إزاحة وإبعاد المعايير الأخلاقية الأصيلة, والسبيل في ذلك لحل الأزمة الإنسانية المعرفية تكمن في العودة إلى العقل التنويري كما يقول الجسمي لمواجهة أي مرحلة وافدة وقطع سبل التبعية وهيمنة الأيديولوجيات وثقافة المركز**(33)**.

سادسا/ الاختراقات الثقافية أو العودة لقهر الذهنيات:

يلاحظ أنه نتيجة للتطور التقني لمجالات الاتصال مثل ما هو حاصل من الأقمار الصناعية وغيرها التي أصبحت نشاطاتها عابرة للحدود وكاشفة أسرار الدول أينما كانت ، شكل ذلك الدور إعادة النظر في مسألة السيادة الوطنية والمماس بحدودها الجغرافية ، وطرح مفهوم جديد عن الفضاء الاتصالي بدل الحدود الأرضية، وبالتالي ساهمت هذه الشبكات الفضائية في عمليات الاختراق الأمني للدول والتعدي على تقاليدها الثقافية ، وأصبح منطق الشفافية هو السائد بعد تركيب مجتمعات افتراضية جديدة تتعامل بواسطة الأجهزة الالكترونية إذ جعلت العولمة الدول كالبيوت المتجاورة ، وتسعى بذلك إلى توحيد المخيال الثقافي بعدما كسرت الحواجز الجغرافية ، وأنهت الصراعات التقليدية ، وبتوسع دائرة تكنولوجيا الاتصال والإعلام أمكن من تحويل الصراع إلى صراع حول المعلومات والمعرفة وصناعة الثقافة ، وتحويلها إلى سلعة والتنويع في المقتنيات اليومية وإغراق السوق بالابتكارات والاختراعات لتعميم ثقافة الاستهلاك وتثبيت التبعية الاقتصادية والتجارية للدول المصنعة وينعكس ذلك على الكشف الأمني إذ بواسطة هذه التطورات التقنية أصبح يعرف ماذا يفكر الآخر، وماذا ينتج وما هي قدراته وأبعاد سيطرته على المراكز الحساسة والتسليح، ومن خلال هذه الميكانيزمات استطاع الباحث الأمريكي (دجون ميلر) أن يلتقط صورا بواسطة الأقمار الصناعية لقوات عسكرية سوفياتية تعمل في مختبر تدريبي على إمكانية إطلاق صواريخ نووية من تحت سطح الجليد في القطب الشمال محمولة على ظهور غواصات معدة لهذا الغرض **(34)** ، مما يلاحظ أن الغزو الثقافي التقني أخطر من الفعل العسكري , إذ تمارس هذه العولمة الاتصالية الاكراهات الزمانية والمكانية كما ينعتها (أنتوني جيدنز) حيث

تقوم وسائل الإعلام والاتصال عبر برامجها بالتأثير وتنميط القيم والسلوك وتوحيد الوعي الثقافي من خلال ما يبث من صور وعروض مشهدية مبرمجة ومحكمة وفق نمط معين وهو ما يشير إليه الباحث (هربرت شيللر) بقوله أنه << يقوم مديرو أجهزة الإعلام في أمريكا بوضع أسس عملية تداول الصور والمعلومات ويشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها ، تلك الصور والمعلومات التي تحدد معتقداتنا ومواقفنا بل وتحدد سلوكنا في النهاية... >>**(35)**

.

سابعا/ الاغتراب أو السيادة ما بعد الالكترونيات:

ندرك أن تطور مجتمع المعلومات يعود إلى تطور المجتمعات القبلية العرفية مثل مجتمعات الزراعية الرعوية والصناعات الآلية ، ويعتمد هذا المجتمع على كيفية توظيف المعلومات وصناعة المعرفة في شتى المجالات والنشاطات الداخلية والخارجية الفردية منها والجماعية ، كما يحمل عدة سمات حديثة ومفاهيم جديدة نتيجة التغيرات المتعددة في جميع الفضاءات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، وهذه المفاهيم تؤكد على حداثة مجتمع المعلومات والاغتراب لمرجعيات المجتمع التقليدي , نظرا لاعتماد المجتمع الأول على ما تنتجه هذه الحقول المعرفية المتسمة بالوسائط الرقمية والمتصلة بالشبكات الاتصالية والأكثر تحديثا لنمط المعيشة وازدهارها لحل المشكلات الإنسانية والاجتماعية , وفي ذات التصور فإن الاغتراب كما يذكر أحمد أبو زيد هو حالة نفي الآخر, وهو جانب من البعد النفسي والاجتماعي يوجه الإنسان نحو آفاق مجهولة تتسم بنوع من الرفض المتبادل للثقافة**(36)**. وقد تتنوع مظاهر حالات الاغتراب مثل الاغتراب عن البيئة الاجتماعية فضلا عن الاغتراب عن الذات , فالمكان أحيانا يرفضك ويلفظك ويعاديك كنوع من العقاب الاجتماعي , فيتيه الإنسان في غياهب الأمكنة الغريبة وإن كانت توحي بجانب من الحرية والتحرر , لكن تزداد التأثيرات والهيمنة من خلال غرس قيم وأخلاقيات الآخر ضمن الأسلوب القهري للعولمة وتعميم صور الاستهلاك , وفي هذا تتضح أن أساليب الاتصال والتواصل الحديثة أصبحت وسائل تساعد على العزلة الاجتماعية على عكس المظهر الذي يوحي خلافا لذلك , مما يعزز الاغتراب عن الذات من خلال البعد الافتراضي واللاشخصاني في الحياة الاجتماعية العادية , إذ أن الوسائل الالكترونية أحدثت نوعا من الاغتراب وشرخا في مفهوم العلاقات الاجتماعية بين الشبكة الاجتماعية التقليدية وبين العلاقات الافتراضية , وهو ما يشكل انفصالا عند الفرد عن الطبيعة الإنسانية وتتشكل علاقة حميمية مع مجتمع آخر وهو المجتمع الافتراضي الذي يعيش فيه الإنسان مزدوج الشخصية ويحدث بداخله تناقضا معيشيا بين الواقع الفيزيقي والواقع الافتراضي نتيجة تطور وسائل العولمة وامتداد مساحتها لمختلف مناطق العالم **(37)**.

بهذا التصور يصف د.حليم بركات أيضاظاهرة الاغتراب في الثقافة العربية بأنها نكسة في الفكر وفي التطبيق معا, إذ تحيل الأوضاع المتردية الإنسان العربي إلى كائن مغترب عن نفسه وعن مجتمعه وحتى عن مؤسساته, ويبدو في مسعاه وتحدياته المتكررة نحو التموقع بقوة للتكيف مع ظروفه الجديدة والمريرة في الوقت نفسه, ويبذل ما في طاقته إتجاه

هذا التأقلم نفسيا واجتماعيا بدلا من الاهتمام لكسب رهان تغيير واقعه وفرض ذاته من خلال التفاعل الاجتماعي والمشاركة في التخطيط والتنمية.**(38)**

وبكيفية أخرى تعتبر أن المرحلة الانتقالية قد طال أمدها التي يرجى منها أن يفسح فيها المجال لأبناء العروبة ليعبروا عن آمالهم وطموحاتهم في شتى الفضاءات, كما عبر الآخرون عما يرونه مناسبا لحياتهم, إذ بهذا التململ والركود قد تزعزعت صورة القيم والمفاهيم, نظرا للصراع الداخلي الذي يعيشه الإنسان العربي من خلال الازدواجية بين التمسك بالتقاليد والوقوف على الموروثات الاجتماعية من جهة, والانفتاح الاعتباطي عن ثقافة الأخر المتسمة بالنزعة الاستهلاكية من ناحية أخرى ... وفي ذلك أصبح لا يختلف الفرد المنغلق على التراث الثقافي التقليدي الذي يسعى بهذا التمسك لرد الفعل عن ما يلهث الأخر عنه للخروج من شرنقة المهانة والالتحاق بالنموذج الغربي الذي يخفف عليه وطأة التخلف حسب نظره, وأن يحذو حذو النعل ليس في الجوهر والإبداع , بل في المظاهر والسطحيات, وفي كل من هذين الصنفين قد ابتعدا عن تطوير قدراتهما الداخلية الإبداعية والنقدية, للمساهمة في محاولة بناء معرفة إنسانية مستقلة , وعجزا الاثنين معا عن خلخلة الواقع وزحزحة المجتمع العربي من موقعه الهامشي.**(39)**

وفي نظرة متأنية تصف الموسوعة العلمية السيادة من منظور البعد السياسي إذ تعرفها بأنها (امتلاك الدولة للقدرة على التحكم الحصري في نطاقها الداخلي، وفي الأفراد سواء كانوا من البلد أو من الأجانب العابرين لهذا النطاق الجغرافي، كما أنها تملك الشرعية الحصرية لاستخدام القوة في هذا المجال). **(40)**

لكن هذا الشكل الحداثي للاختراعات الالكترونية لم يرد في النطاق التحكمي عبر الحدود الجغرافية، حيث تنتقل المعلومات من إقليم إلى آخر بكل حرية دون رقيب أو متابعة عبر شبكات الانترنت وكذا الفضائيات مما يفرض على المتلقي ثقافة أخرى غير متجانسة مع ثقافته وتقاليده ، وينعكس ذلك على حرمة السيادة الوطنية وتجاوز تقاليدها وهيبتها وفي ذلك يحلل د. إبراهيم بعزيز هذا المعنى للسيادة من حيث الغزو الثقافي والأمن الثقافي يقول(أي سيادة لدولة تستقبل يوميا كما هائلا من المضامين الإعلامية الأجنبية ، وتتلقى أنماطا ثقافية وأشكالا متعددة من الغزو الفكري ، وأي سيادة لدولة لا تقدر على التحكم في المعلومات التي تتدفق إلى حدودها عبر شبكة الانترنت أو الفضائيات وأي سيادة لدولة لا تنتج المعلومات والمضامين الإعلامية محليا ، وأي سيادة لدولة تستورد مناهجها التعليمية) **(41)**.

وفي ظل التدفق الأحادي للمعلومات والمفروضة أحيانا على الثقافات المحلية التي لا تتناسب إنتاجها مع الإنتاج العالمي ، يبقى الاستهلاك لهذه الثقافات والعوامل الفكرية سبيلا لتغذية الشعوب المختلفة التي تتعرض سيادتها للانتهاك الالكتروني وقد تعددت فنون الاستعمار من الاستعمار المادي (السياسي والعسكري) إلى الاحتلال الفكري والمعلوماتي والهيمنة على الصناعة الثقافية ، والتحكم في إنتاجها وتوزيعها... ومن هنا يتعدد الاستعمار والصراع بتعدد نماذجه ووسائله وبأشكال واعية ظاهرة وخفية ، ويحدد ذلك برهان غليون بقوله:(إن الاستعمار الجديد لم يعد في حاجة إلى استخدام وسائل الإكراه والقسر والعنف المكثف لتعميم طرائق حياة وسلوك وتفكير)**(42)**، وفي ذلك تنوعت إحداثيات الهيمنة وأصبحت التكنولوجيا هي القوة الحقيقية الحديثة التي عمت أرجاء الكون وفرضت

سياستها وهو النموذج الأحادي لمضامين فكرية وإعلامية لتزيح المحتوى المحلي وإحلاله محله، إذ يتوقف د. عابد الجابري في تعريفه للعولمة على أنها تشير إلى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله ، وبرأيه فإن العولمة نزعة توسعية تهدف إلى التوسع والهيمنة واحتواء العالم لتعميم إنتاجها المرتبط بالرأسمالية , أما العالمية فهي تختلف في نظره عن العولمة وتشكل الارتقاء بالخصوصية إلى مستوى الإنساني العالمي ، وتعني الانفتاح على الفضاءات الأخرى للكون**(43)**, وعبر هذه الملاحظة فإن العولمة تأخذ صورة السيطرة والحجر على ممتلكات الغير في صفة هيئة استعمارية أمبريالية غير مرئية أحيانا تستخدم الأفكار والصناعات الثقافية كحقل للصراع والمنافسة وللهيمنة , وفي المنحى نفسه تشير عواطف عبد الرحمان أن (العولمة هي احتواء للعالم وفعل إرادي يستهدف اختراق الآخر، وسبل خصوصيته الثقافية بينما تعد العالمية تفتحا على ما هو كوني وعالمي تستهدف إغناء الهوية الثقافية) **(44)** وهو الأمر الذي يرجع أن العولمة نهايتها احتواء الثقافات الداخلية وخصوصياتها تمارس في ظلها فعل التنميط الثقافي لتوحيد اتجاهاتها.

ثامنا/ المعرفة الواسعة والتنمية المحدودة:

يتسم المجتمع الممارس للمعرفة بأنه يستغل كل طاقاته لاكتساب المعلوماتية واستخدامها لصالح مركزه , بغية زيادة رصيده من إنتاج الصناعات والتحولات الثقافية وتسخير فوائدها كرأسمال بهدف تنمية أفكاره لكي تساعده في تلبية رغبته ومتطلبات حاجاته , وفي هذا جاء تعريف مجتمع المعلومات الذي تبنته قمة جنيف 2003 أنه (مجتمع يستطيع كل فرد فيه استحداث المعلومات والمعارف والنفاذ إليها واستخدامها وتقاسمها بحيث يمكن للأفراد والمجتمع تسخير كامل إمكانياتهم في النهوض بتنميتهم المستدامة ، وفي تحسين نوعية حياتهم) **(45)**, وبذلك يكون مجتمع المعلومات هو الذي تحتل فيه المعلومة مكانة أولية في تغيراته وإنتاجاته المتعددة، وموظفا للمعرفة توظيفا كاملا في كافة المجالات المجتمعية , ومنه يحدد مجتمع المعلومات بأنه يسعى إلى بناء أسس معرفية ومعلوماتية في أغراض تداولية واستغلالها نحو تطوير مجالاته المختلفة وفق الصناعة المعرفية المتزايدة.

ويحلل في هذا د. محمد لعقاب الأبعاد المعلوماتية وترتيبها بقوله أن إبداع الكتابة كان جزءا كبيرا في حفظ الذاكرة الجماعية وأن المرحلة الثقافية الموسومة بالطباعة في القرن الخامس عشر ميلادي التي أحدثت ثورة في النشر ثم تلتها تعدد الوسائل الاتصالية الأخرى وتناقل المعارف والمعلومات إزاءها مثلت كلها مرحلة ثالثة أسست بدورها قواعد علمية جديدة وأصبحت بمثابة أحجار البناء لمجتمع المعلومات **(46)**.

وبإعطاء هذه الإمكانات صورة إيجابية يتم استغلال القطاعات الاجتماعية منها والاقتصادية والسياسية والثقافية لدعم مؤسسات الدولة وبلورة التخطيط لاستثمار كل الطاقات الحية في إطار اقتصاديات المعرفة , التي تتيح الفرصة للأفراد بالتعامل مع هذه الوسائل الحديثة لتوفير حاجياتهم الضرورية , ويحدد في ذلك الباحث (مارتن.ج)الخصائص

العامة لمجتمع المعلومات من خلال بعض المعايير منها المعيار التقني الذي يتأسس على الفضاء التكنولوجي الرقمي ، فيما يعتبر المعيار الاجتماعي الحلقة الوسطى في كيفية انتشار الأجهزة الالكترونية ومدى الاستفادة منها ، وتوظيفها في تطوير الموارد البشرية إلى جانب ذلك يركز البعد الاقتصادي أو المعيار الاقتصادي على حركة المعلومات وتحولها إلى بضاعة تجارية ، ومورد اقتصادي متعدد الأوجه في زيادة نسبة اليد العاملة في المجال الالكتروني ، مما أدى هذا إلى ظهور مفهوم حديث وهو الموسوم باقتصاد المعرفة ، كما يركز المعيار السياسي على رفع نسبة الوعي الاجتماعي بدور المعرفة في تنمية الطاقات الحية ، ودعم حركة المشاركة الوطنية , وخلال هذه التمظهرات تتكون قيم ثقافية للمعلومات يهتم المعيار الثقافي بتحديد أساليب التنوع والاختلاف بين الحريات الفردية والجماعية ورصد الحقوق وتبادل الرأي والرأي المختلف **(47)**, إلا أن هذا يتم في مجتمع المعرفة أي في المجتمعات المتقدمة وليست في المجتمعات المتخلفة التقليدية التي لم تنفتح على تطور قطاعاتها وتنمية مواردها لأن التخلف الثقافي والفكري يعيق التنمية والتطور الاقتصادي والاجتماعي .

تاسعا/ نقد الثقافي نقد الاحتمالات:

تبقى كل الاحتمالات القائمة بين التأثير والتأثر راهن الظروف والوقت وهي حالات نسبية حسب الانفتاح والانغلاق للمجتمع وكذا مواكبته للتطورات إذ يسمح لنفسه بإضافة نماذج جديدة تفسح له المجال في العديد من الحقول المعرفية , وفي هذا الصدد يشير أحمد أبو زيد أن التكنولوجيا تساهم في رفع مستويات التعليم وتعمل على التوحيد للرؤى بالنسبة للأفراد وحتى للمجتمعات نتيجة توسع دائرتها , وفي ذلك يساعد الحاسوب كذلك في نشر الثقافات وفي توزيع المعرفة وفي تعدد المفاهيم وتطويرها , لكن ضمنيا يبدو أن هذا النشاط مناقضا لفعل الوظيفة الظاهرة للأجهزة والوسائل الاتصالية التي تنزع بالأفراد إلى الانفرادية والعزلة لأن ممارستها تتطلب من الشخص الوحدة والانعزالية فيما تضبط أيضا عملية تواصله , مما تتيح ثقافة خاصة فرعية تسهم فيها التكنولوجيا آليا في إحداث شرخ على مستوى الثقافة الأصلية بدلا من تطويرها وتعزيز وجودها , بمعنى أن التكنولوجيا تعمل على المزيد من العزلة والانفرادية والتهميش , وهو الشيء نفسه الذي أكد عليه (لويس ممفورد) بقوله أن (الحضارة التكنولوجية تدمر قدرة الفرد على المشاركة , فتكنولوجيا الاتصال إذن تساعد على تفتيت الثقافة في المجتمع ونشأة ثقافات خاصة أو حتى ثقافات فردية , وهذه هي المفارقة في أبلغ صورها , حيث تؤدي إلى الفردية بدلا من الجماعية)**(48)**, بهذه الاعتبارات فهل يمكن من الأفضل أن نواجه العولمة الثقافية بالانغلاق بعد ما فات الأوان؟ وهل تكون هناك ضمانات بأن لا تحدث انفجارات اجتماعية طلبا للانفتاح والتطلع نحو الآخر؟ أم نتتبع الخيار الثاني الذي يحدث فيه الاندماج الكلي في ثقافة الآخر والاستفادة منه وأخذ الغث والسمين دون رقيب ولا اعتبار للمعايير المعرفية التي تكون بمثابة مصفاة , أم نأخذ من المرحلة ما يلزمنا ونترك ما يضرنا ولا نتيح لأنفسنا إلا ما يتناسب مع قيمنا وثقافتنا وتقاليد مجتمعنا, و بذلك يكون الطريق الوسط أسلم الذي يترك هامشا للمراوغة وربما هذا السبيل الأخير يعتبر الاحتمال الأقرب للصواب لأنه كما يقول مالك بن نبي استيراد منتجات الغير لا تصنع حضارة , بل الحضارة هي التي تلد منتجاتها , يكشف هذا القول الكذبة التي جاء بها الاستعمار الفرنسي آنذاك للجزائر بأنه سيدخل هذا الشعب في الحضارة والمدنية العاصرة وبنفس الخطوات جاءت العولمة أيضا بأنها تسعى إلى الانفتاح وترفع من مستويات الدول المتخلفة

اجتماعيا وثقافيا وتترجم هذه الكذبة كذلك الشركات العابرة للقارات والمتعددة للجنسيات التي أغرقت الأسواق بالمواد الاستهلاكية دون أن تؤسس هذه المجتمعات المحلية أدنى قاعدة اقتصادية صلبة, والأمر هنا يتطلب مساحة من الحرية دون تورط في قيم الأخر كما لا ينبغي الانغلاق عن الثقافات الأخرى حتى لا تتشكل لدينا مركب نقص أو عقدة انهزامية من خلال تدفق روافد الأخر اللامتناهية , لأن الاتصال يبقى هو السبيل الوحيد الذي يعكس تبادل أفكار وأراء الآخرين نظرا لأن الطبيعة البشرية تتطلب البقاء وفي حاجة للتواصل والتطلع نحو الأفضل وكسب مستجدات ومنتجات الآخر, وبفضل هذا الاتصال نفهم الرموز الثقافية والاجتماعية للآخرين المختلفين عنا, ونستطيع من خلاله كذلك أن نتبادل العلاقات الإنسانية ونبلور عمليات احتكاك معرفية وتطلعات مشتركة كنقل المخزون التراثي بين الأجيال والمساهمة في تمكين الاستقرار الاجتماعي.

في هذا السبيل فإن الربط بين الحرية مع الرقابة صعبة للغاية بالمقابل الانغلاق و التحجر عن التقاليد أمر أصعب , لأن العولمة تحمل الكثير من الايجابيات في شتى الميادين العلمية والتقنية وتتيح الكثير من الفرص لحل المشكلات وتسهل السبل للإنتاج والإبداع وتعمل على التحولات المرغوبة والتغيرات المناسبة للمجتمع وللأفراد , وكما يقول ماكلوهان أن العالم أصبح عبارة عن قرية وإن كانت هذه الأخيرة دوافعها غير متجانسة , وبرأيه متضمنا بذلك الحقيقة التقنية لهذا المجال , إلا أن التأثير يكون بالقيم وليس بالوسيلة فقد أكد ذلك الأستاذ عبد الرحمن عزي في نظريته الحتمية القيمة للإعلام صور التأثيرات الاجتماعية والنفسية لهذه الوسائل على المجتمع , إذ يرى أن العلاقة بين الاتصال والثقافة تشكل بعدين هامين أحدهما موجب والآخر سالب , فالأول يهتم بالميكانزمات المصاحبة للروابط البيئة الإنسانية والتنشئة الاجتماعية المعززة بالقيم , كما يهدف إلى الانفتاح على العوالم الأخرى للثقافات المجتمعية المحيطة والتأكيد على المراقبة الذاتية من خلال النقد المضاد الذي يمكن من تحديد التوجهات ورصد المواقف , أما من المنظور السالب فهو يشوه البعد الثقافي ويمسخ على شكل صور ترفيهية سطحية وغرس فيه قيم بديلة ليس لها أصول في الجذور المحلية والتمكن من توسيع دائرة العالمية ونزع الأثر القيمي العظيم وتعميمه لتمييعه سلوكيا... وفي ذلك يعيش الفرد العربي بين البينين لا هو استفاد من العولمة ولا هو متمسك بتراثه , بل خسر الاثنين معا, والبديل الثالث يراهن على المنافسة أو يبقى في المنفى مغتربا في وطنه دفين ثقافته الوحيدة دون أن يصنع آليات حديثة تمكنه من المشاركة والتفاعل مع الآخر, وباعتبار أن الفرد هنا غير مستقر فإن الاحتمالات مفتوحة على تنوع الاتجاهات وتعدد المتناقصات وحتى وإن انضم هذا الفرد إلى الثقافة المهيمنة فإنه يحس بعقدة الهامشية نظرا لأنه لم يمارس ولم يشارك في صنع هذه الثقافة كفاعل اجتماعي , وبالتالي يبقى مبعدا نفسيا لأن الأنساق المنعكسة من هذه الثقافة المركبة لم تشمل جذوره وأصوله , ومنه تظل مشاركته على هامش الحضارة التكنولوجية على الرغم من تواصله واستهلاك منتجاتها , والعبرة في ذلك كما تقول الأستاذة (ماري تريز عبد المسيح) ليست في إلغاء الانتماء للوطن أو رفض جغرافية المكان أو الاستهلال بالآخر وبتعدديته الثقافية وخصائصها المتفتحة , بل العبرة في إعادة النظر في المفاهيم الثقافية القومية التقليدية التي تراهن على تجاوز السياق الإيديولوجي وللإطار المنهجي المحدد للأنساق الفكرية**(49)**.

من جانب آخر فإن الاحتكاك و التواصل المتعدد الأوجه أثر على أفراد المجتمعات وبالتالي لا سبيل لغلق الأبواب أمام الروافد الأخرى حتى و إن بدا منا تحفظا عن بعضها لأن عوامل التقدم لوسائل التكنولوجيا تضغط بشكل مباشر وهناك عوامل إيديولوجية وثقافية مبرمجة بشكل محكم تؤثر بطريقة غير مباشرة وتعمل بسبل شتى لدمج المجتمع الهامشي في بوتقة الثقافة المركزية والسعي لتدمير ثقافة الأطراف واحتواء بعضها الآخر حسب رأي سمير أمين .

خاتمة:

على اعتبار التحولات الجارية والمنقسمة على ذاتها تعبر على أن المكونات المجتمعية تشهد هي الأخرى تغيرات داخلية وخارجية فالتناقص المتواصل للعائلات الممتدة بدأت تتأثر بفعل التأثيرات والإغراءات الثقافية الأخرى ، كما أدت عملية الانفتاح على إنتاج الآخر مثل السينما والمسرح والتلفزيون وبقية الفنون المختلفة التي أثرت في الذهنيات , فيما أخذ التقليد مجراه إلى العقول من حيث اللغة و السلوكات وما يترتب عنه من تغييرات في المحيط ، الأمر الذي لم ينسجم في البداية مع التقاليد المحلية والذي وجد مقاومة باعتبار أن الجديد دائما يخلخل التوازن ويحرك النسيج الفكري وما ينعكس ذلك على السلوك يجد صعوبة في التأقلم والتكيف في وسط مختلف, إلا إذا كانت هناك قابلية للمجتمع المحلي لثقافة الآخر... ففي هذا الاتجاه للغزو الثقافي الفضائي الرقمي أدى إلى اختراق سيادة الدولة تكنولوجيا بعدما أدت هذه العولمة إلى اختراق الذهنيات المنغلقة و كذا الطابع الأمني , وبلا شك فإن تحول مفهوم السيادة نتيجة هذه الموجات الاتصالية التي دخلت الأوطان والبيوت دون استئذان مما عبرت عن تحولات في ميكانيزمات التعامل وتغير في النظرة التقليدية للسيادة كحدود جغرافية على مستوى الأرض التي تعبر عنها القوى العسكرية السياسية وهي ضوابط أصبحت من الكلاسيكيات , والتي سبق وأن أشار إليها برهان غليون بأن العنف والقوة العسكرية تجاوزتهما المرحلة وبدأت مرحلة القوة المعرفية الناعمة التي أصبحت تهدد العباد والبلاد عن طريق الأبعاد الفضائية وحرب الاتصالات , مما يمكن الحديث عن سيادة ما بعد الالكترونيات , وهو المفهوم الجديد الذي يحتاج إلى ضوابط أكثر تقنية من خلال الاختراقات الثقافية والمعلوماتية عبر الفضائيات والوسائط المتعددة مثل الانترنت وغيرها , مما يحتم الأمر على المختصين أن يحددوا قواعد معرفية حديثة تتماشى والعالم المتحول , كما بالمثل نغير نحن من تصوراتنا ومفاهيمنا قبل أن تجبرنا المرحلة على البقاء في الهامش أو إزالتنا كليا , ومضمون ذلك إما أن نكون أو لا نكون على حد تعبير شكسبير.

- المراجع

1- بلقزيز عبد الإله .العولمة والهوية الثقافية. المستقبل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية .ع/98/229 .ص96.95

2-الجواهري محمد وآخرون .علم الاجتماع الإعلامي .مكتبة زهراء الشرق .ط1.ص 174

3- الحمامي الصادق، المجال الإعلامي العربي، المستقبل العربي، ع 2007/335 جانفي، ص52 .53

4- الهيتي هادئ نعمان، ثقافة الطفل، عالم المعرفة، الكويت، 123، ص 50

5-وطفة علي أسعد، العمالة الوافدة وتحديات الهوية الثقافية في دول الخليج العربية،مجلة المستقبل العربي، عدد 2007/344، أكتوبر، ص 75

6-اولريش بيك، السلطة والسلطة المضادة في عصر العولمة، المكتبة الشرقية لبنان، ت جورج كنورة، الهام الشعراني، ط2010/1، ص 652.

7- محمود زكي نجيب. ثقافتنا في مواجهة العصر .دار الشروق. القاهرة ط2/ 1979.ص97

8-الهيتي هادي نعمان، إشكالية المستقبل في الوعي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1/ 2003، ص198

9- المرجع نفسه. ص 203

10- العجاتي محمد أحمد.تطور الثقافة الرأسمالية وتأثيرها في الثقافة العربية . الثقافة العربية (أسئلة التطور والمستقبل) مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة كتب المستقبل العربي (29)، بيروت، 2003، ص 61

11-عثمان عيسى إبراهيم، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق، الأردن، ط2008/1، ص161

12- رشوان عبد الحميد أحمد، ثقافة (دراسة في علم الاجتماع الثقافي) مؤسسة الشباب الجامعي، الاسكندرية، ط1، 2006، ص 151.149

13- العجاتي محمد أحمد. مرجع سبق ذكره .ص.67

14- الذوادي محمود، الإنسان كائن ثقافي بالطبع، مجلة العربي، الكويت، ع 2012/640، ص 19

15- زمام نور الدين، القوة السياسية والتنمية (دراسة في علم الاجتماع السياسي)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2007/1، ص169

16- الهيتي هادي نعمان. مرجع سبق ذكره .ص.200

17- قاسيمي ناصر .الاتصال في المؤسسة .ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر.ط1 .ص43

18- بن عيسى حنفي.محاضرات في علم النفس اللغوي.ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.ط3 /1990. ص77

19- أحمد أوزي .منهجية البحث وتحليل المضمون .مطبعة النجاح الجديدة المغرب ط2.ص90

20- بوجمعة رضوان.المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والإعلامية .العدد2 /2003/2002. الجزائر. ص 396 ص397

21- سليم جيهان وآخرون، عولمة الثقافة واستراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة. الثقافة العربية (أسئلة التطور والمستقبل) مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة كتب المستقبل العربي (29)، بيروت، 2003، ص 228

22- مالك بن نبي، شروط النهضة، ت عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط 1985، ص 83

23- مرجع سبق ذكره .ص.82

24- بعزيز إبراهيم، تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية، دار الكتاب الحديث، ط2012/1، ص106

25- بنهلال محمد، الإعلام الجديد ورهان تطور الممارسة السياسية، المستقبل العربي عدد 2012/396 فيفري، ص 12

26- بعزيز إبراهيم مرجع سبق ذكره .ص.107

27- حنفي حسن، حصار الزمن ج**1**، الإشكالات، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، 2007، ص497

28- سليم جيهان وآخرون. مرجع سبق ذكره.ص.236

29- أبراش إبراهيم، في عصر العولمة تتجدد تساؤلات عصر النهضة، المستقبل العربي ع 2007/337 مارس، ص 24

30- حنفي حسن. مرجع سبق ذكره.ص.488.484

31- حنفي حسن. مرجع سبق ذكره.ص.497

32- الجسمي عبد الله. العودة الى التنوير ..لماذا ؟ مجلة العربي .الكويت. ع2011/631.ص 24

33- مرجع سبق ذكره. ص 25

34- قوال فاطمة، مفهوم السيادة في ظل المجتمع المدني، مجلة فكر ومجتمع، طاكسيج، كوم، ع 2013/16، ص 218

35- شيللر هربرت، المتلاعبون بالعقول، ت عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، 106، ص 5

36-أبوزيد أحمد .الاغتراب الجديد .مجلة العربي .عدد 631/جوان 2011 ص17

37- مرجع سبق ذكره ص 18

38- بركات حليم .الاغتراب في الثقافة العربية .مركز دراسات الوحدة العربية .بيروت. ط2006/1.ص 8

39- مرجع سبق ذكره. ص 9

40- بعزيز إبراهيم. مرجع سبق ذكره.ص.119

41- مرجع سبق ذكره .ص.121

42- زمام نور الدين. مرجع سبق ذكره .ص.143

43- مرجع سبق ذكره.ص.146

44- بعزيز إبراهيم. مرجع سبق ذكره.ص.123

45- قوال فاطمة. مرجع سبق ذكره.ص.210

46- مرجع سبق ذكره.ص.211

47- مرجع سبق ذكره.ص.213

48- أبوزيد أحمد. تكنولوجيا بلا حدود. مجلة العربي.الكويت.ع2011/633.ص 33

49- عبد المسيح ماري تريز.الهوية الثقافيةعودة أم مسار. مجلة العربي.الكويت. ع2013/657